الفصل الثامـــــن

معنى النجـــاح الداخـــلـى

www.anwarsadat.org

1

يكاد ينحصر مفهوم النجاح فى الحياة عند معظم الناس فى النظرة التى ينظر بها الآخرون إليهم، للرجة أن النجاح لا يكون نجاحا إلا إذا اعترف به الآخرون.. هـذه النظرة تجعل الإنسان عبدا للآخرين لأنه يقيس الأمور بمقياسهم وبالتالى يفقد القدرة على ممارسة أصالته الذاتية التى تهتم بالمظاهر، وأيضاً لا يستطيع القيام بدور قيادى فى مجتمعه لأنه حكم على نفسه بأن يكون تابعا للآخرين. لذلك فأنا أؤمن بالنجاح الداخلى لأنه لون من النجاح الأصيل لا يحسه الناس فى أغلب الأحيان. فهو مرتبط بالقدرة على التأمل وإدراك الذات. ومن طبيعة هذا اللون من النجاح أنه يملأ الإنسان ثقة فى نفسه ورضاء عنها. وإذا ما رضى الإنسان عن نفسه فى هذه الدنيا فقد فاز بأكبر درجة من درجات السعادة. والإنسان إذا سعى إلى النجاح الداخلى وأحس به كان مالكما لأعظم متعة روحية تحطم أمامها الكثير من متاعب هذه الحياة وآلامها.

فقد اعتدنا فى حياتنا على أن النجاح الخارجى الذى يراه الناس فينا هو النجاح الوحيد الجدير بأن نسعى إليه ونشقى فى سبيله، واعتدنا أيضاً آلا نتقيد بالوسائل فى سبيل بلوغ هذا النجاح لكى نطلع به على الناس. وقليل منهم من يسأل كيف كان هذا النجاح، وانتصارات الإنسان فى نجاحه الخارجى لابد أن يلمسها الناس فى مال

أو جاه أو منصسب، سيسعد بها صاحبها، ولكن سعادته تظل معلقة ومقيدة بما يراه الناس لأنه أسس نجاحه على رأيهم.

أما انتصارات الإنسان فى نجاحه الداخلى فلن يعرفها أو يحس بها إلا صاحبها لأنها انتصار لمبدأ قويم أو لمعنى سام أو لفضيلة معينة. سيسعد بها صاحبها أيضاً، ولكن إلى الأبد. سيسعد لأن هذه الانتصارات ستشعره فى كل لحظة من لحظات حياته أنه يستطيع أن يكون مركزا لأشعاع المثل الطب والمبدأ القويم والأيمان بكل ما هو كريم وشريف فى هذه الحياة وسيسعد لأن بريق هذه الانتصارات لن يذهب أبدأ بل سيظل يضىء كلما تقدمت السنون والأيام، وسيظل صداها يحفز لانتصارات أخرى لن تكون إلا كريمة وشريفة لهذا سأظل أؤمن بالنجاح الداخلى حتى لو لم ينعكس على الناس لأنه لن يوزن فى يوم بموازين النجاح الخارجى .

www.anwarsadat.org

يؤكد الفيلسوف الألمانى شوبنهاور هذا الخط الفكرى فيقول إنه لا مخـــرج مـــن الحصار الذى يفرضه الآخرون على الإنسان إلا بالتأملات الروحية للحياة. والبحــث فى انتصارات المفكرين والفلاسفة والعلماء والقادة الروحيين فى جميـــع العصـــور وجميع البلاد، فلمثل هذه القيم الفكرية والروحية والمثل الإنسانية والحضارية عاش أولئك العظماء، ولذلك لن يسمو ولن يخلد سوى ذلك الفكر الذى يتجلى فى البعد عن الأفق الضيق من جراء المقارنة الدائمة بين الذات والآخـــرين، وعلـــى حـــد قـــول شوبنهاور فإن الفكر الموضوعى يطغى كالعطر الســـاحر فـــوق أخطـــاء المجتمـــع التقليدى وحماقاته. والمأساة أن أغلب الناس يسمحون لانسياب أفكار الآخـــرين أن يحبس ويكبت أفكارهم الأصيلة، بل يشل مع الزمن قدرتهم على التفكيـــر وتتحـــول عقولهم بالتبعية إلى مجرد نوع من آلات الامتصاص نتيجة لفقـــر عقـــولهم التـــى تجتذب إليها أفكار الآخرين عنوة، وبالتالى فهم يقدرون كل عناصر النجاح الـــداخلى وأهمها الأصالة وحرية الاختيار ووضوح الرؤية والثقة فى النفس. لذلك نجد أغلب الناس يلهثون وراء النجاح الخارجى الذى يفقدهم القدرة على رؤية الأشياء بحجمها الطبيعى، والذى يلهب ظهورهم بسياط من نار لكى يلحقوا ببقية القطيع.

إن النجاح الداخلى يساعد الإنسان على أن ينظر إلى ذاته على أنها موضـــــوع فـــى حـــد ذاتــــه بصـــــرف النظر عن علاقتها النسبية

المتغيرة مع ذوات الآخرين ولذلك فالإنسان الناجح داخليا يستطيع أن يستقل نفســيا عن الآخرين وعلى أثر ذلك يحل فى قلبه السلام والطمأنينة والهدوء وكل العناصــر

التى ينشدها الإنسان دائماً، وهى العناصر التى تهرب دائماً من الإنسان بمجرد السير فى أذيال الآخرين. ولذلك يجب ألا يبحث الإنسان عن سعادته عند الآخرين، لأن السعادة بمنتهى البساطة بين يديه.. بمعنى أن الآخرين لا يمنحون الإنسان السعادة بقدر ما يستخرج هو السعادة منهم .

www.anwarsadat.org

2

يذكرنى هذا بالمقتطفات والمأثورات التى كتبتها فى كراسة السجن منذ ثلاثين عاما وهى الكراسة التى مازلت أحتفظ بها حتى الآن إذ أنها تحتوى على عصارة قراءاتى التى أثرت على منهجى الفكرى طوال حياتى فمثلا يقول الكاتب الأمريكى فرانك كرين أن حياة الأمم العظيمة تبتدئ من بدء إعلان استقلالها ، ولذلك يبدأ الفرد حياته الشريفة من يوم أن يعلن استقلال نفسه ، هذا الاستقلال الذاتى للفرد شرط أساسى لنجاحه لداخلى الذى يحتم عليه ابتكار معايير أصيلة خاصة به فى قياس الأمور التى تمر به فى حياته اليومية، أما إذا وضع منظار الأخرين على عينيه فلن يرى إلا ما يراه الآخرون وبذلك يفقد أصالته وتضيع ملامح شخصيته المستقلة .

أن روح القطيع عندما تسيطر على الإنسان فإنه يتحول إلى جزء ليست له قيمة كبيرة فى مواجهة الكم الهائل الضخم الذى ينتمى إليه . وللأسف فإن الحضارة الحديثة بضغوطها المادية والتكنولوجية الرهيبة تسعى تدريجيا إلى القضاء على تفرد

الإنسان وشخصيته المستقلة مما جعل الفرد فى المجتمع الحديث يشعر بأنه مسير لا مخير.. هو مسير إلى حيث لا يعلم فالحروب والأطماع تتنازع العالم فى هذا العصر لم يحدث فى تاريخ البشرية من قبل . إذ أن الحروب والأطماع لم تعد لها حدود بعد

أن أصبح العالم الشاسع مجرد قطعة أرض ضيقة يختلط فيها الحابل بالنابل.. يعيش كل من فيه برغم أرادته فى صراعات مادية وفكرية لا يعرف لها نهاية.. لا يملك غده لأن يومه نفسه مرهون بإرادة الآخرين الذين لا يعرفهم ولم يرتكب فى حقهم إثما .

لقد فقد إنسان العصر الحديث مقومات النجاح الداخلى لأنه لم يعد يفكر بنفسه لنفسه. أصبح فكره مصنوعا جاهزا معدا للاستعمال ولا يكلفه الحصول عليه سوى أن يقرأ الصحف أو يستمع إلى الإذاعة أو يشاهد التليفزيون. فالإنسان يفكر من خلال المسئولين عن الأعلام والثقافة. ويظن أن هذا هو فكره الأصيل لأنه لا يدرك أنه صنع له من قبل وتشربه دون أن يدرى.. فالآخرون يختارون للإنسان الاتجاه الفكرى ويجعلونه يفكر فيما يفكرون هم فيه وبالأسلوب الذى يفكرون به. وبذلك يصبح لا حديث له طوال اليوم إلا فيما تشغله به وسائل الأعلام والثقافة. فهى وسائل تفكر بالنيابة عن إنسان العصر الحديث. ومهما كانت نوعية هذا الفكر، مهما انحط ومهما ارتفع فهو فى النهاية ليس فكره.

هذا كفيل بالقضاء على أى استقلال ذاتى للإنسان ، لأنه يجعل الناس جميعا صورا متكررة لمن يقفون وراء وسائل الأعلام ، فهو فكر مصنوع لكى يباع بالجملة فى أسواق العقول ولأكبر عدد ممكن من الناس.. وهذا لا يحدث فقط فى مجال الأعلام بل فى المدرسة والجامعة حيث يلقن المعلمون الطلبة الذى يستمعون إلى نفس المحاضرات بالجملة أيضاً، وعليهم فى الامتحان أن يعيدوا ما قالوه لهم ، كما قيل بلا زيادة أو نقصان وبالتالى فأن المقياس الوحيد للنجاح فى الحياة والمجتمع هو المقياس الذى اتفق عليه الآخرون، وأى مقياس مخالف له الفشل يصبح بعينه .

أن روح القطيع هى أقسى ما يمكن أن يدمر الاستقلال الذاتى للإنسان ، وعليه يمكن أن يدمر البنيان الفكرى للأمة لأنه يعجزه عن التطور والتجديد الخلاق. فعندما يتحول الإنسان إلى مجرد فرد من أفراد القطيع ، يتحرك معه لكنه لا يعرف إلى أين ولماذا يتحرك أصلا، فهو بهذا يفقد القدرة على التفكير الأصيل النابع عن كيانه وذاته. فالقطيع كفيل بأن يصنع له كل الأفكار التى يمكن أن يتشدق بها فيما بعد كما لو كانت أفكاره الخاصة به، وإذا أصابت روح القطيع إنسانا فأنه يتوقف عن التفكير ويستريح من عنائه طالما أن الآخرين

www.almarsafat.org

يقومون بهذه المهمة نيابة عنه، وبهذا تقضى روح القطيع على كل ملكات الإبـــداع والابتكار والأصالة عند الإنسان. فلا يكفى أن يكون لدينا عقـــل ســـليم كمـــا يقـــول الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت : بل ينبغى أن نستخدمه استخداما ســـليما . وإذا كان هناك اختلاف بين الناس فى مستوى الذكاء فلا يرجع هـــذا إلـــى تفـــاوت فـــى ملكاتهم وانما إلى اختلاف المناخ الفكرى الذى يتأثرون به .

www.anwarsadat.org

3

وأيمانى بالنجاح الداخلى لا يعنى أنه دعوة إلى مبدأ " خالف تعرف " الـذى يغـرى الإنسان بمعارضة الآخرين لمجرد المعارضة وحب الظهور. فهذا المبـدأ أبعـد مـا يكون عن الاستقلال الفكرى للإنسان، ولا يقل فى أثره الضار عن روح القطيع التى تقضى تماماً على الكيان الفكرى للفرد. فإثبات الذات لا يتأتى عن طريق المعارضـة من أجل المعارضة، بل ينبع من وضع الأمور فى نصابها من خلال نظرة موضوعية قادرة على التصدى للآخرين بشجاعة إذا أدركت أن الصواب قد جانبهم .

يتناقض مفهوم النجاح الداخلى للإنسان مع روح القطيع تماما لأنها تتسلل إلى كـل أغوار نفسه وخاصة إذا لم يكن الإنسان يقظاً تجاهها. فإذا طبقنا هذا علـى حياتنـا اليومية فسنجد أن هذه الروح تشكل تفكير وسلوك معظمنا وإلى حد كبير. فمثلا نجد إنسانا ليست له أية اهتمامات بكـرة القـدم . ولكنـه يجـد جميـع مـن يحيطـون بـه يتحدثـون ليـل نهـار عـن آخـر مباريـات

الدورى والكأس كما لو كانت قضية حياة أو موت بالنسبة، لهم. وفجأة يدرك وضعه الشاذ بينهم لأنه لا يشاركهم اهتماماًتهم على الأقل، وبدلا من أن يهـدئ مـن هـذا التيار، السطحى الجماح حوله نجده ينجرف مختارا. وبعد ذلك يتحـول إلـى أشـد المتعصبين لكرة القدم وتصبح شغله الشاغل ليل نهار ، بل انه غالبا ما يتطرف عن

www.almarsalat.org

الباقين فى حماسه لكى يظهر لهم أنه لا يقل فى وعيه الكروى عنهم فى شىء بل ويتفوق عليهم وبذلك تنتقل الحمى من شخص إلى آخر حتى تتحول فى نهاية المطاف إلى هوس وجنون. وما ينطبق على كرة القدم ممكن أن ينطبق على شتى نواحى الفكر والحياة، مثل الحماس دون مبرر قومى وفكرى للمبادئ السياسية المستوردة ، والأفكار الاجتماعية المدسوسة، والتحريفات المتعمدة لجوهر الدين العظيم.. الخ تلك هى إحدى النتائج المدمرة لفقدان الفرد لاستقلاله الذاتى. وهى نتيجة طبيعية للجهل والسطحية والخواء الذى يعانى منه الإنسان داخله عندما لا يشعر بأى اهتمام نابع من ذاته. وهذه ظاهرة حتمية لأن الطبيعة تأبى الفراغ. والبشر جميعا يشتركون فى عدم المقدرة على تحمل هذا الفراغ . فإذا كان الإنسان من النوع الذى لا يهتم بتثقيف نفسه وإنضاج فكره باستمرار فلاشك أنه سيشغل الفراغ داخله بكل التفاهات التي يقابلها فى حياته اليومية فالثقافة سلاح خطير موجه أساسا ضد روح القطيع ، لأن المثقف

الأصيل يحترم كيانه الفكرى عن طريق رفض الأفكار التى لا يقتنع بها هو شخصياً، مهما كان عدد الذين يعتنقون هذه الأفكار. فالمسألة لي!ست مسألة أغلبيـــة ولكنهـــا مسألة اقتناع وتفكير موضوعى بصرف النظر عن النعرات المؤقتة . لكـــن التفكيـــر الموضوعى المخالف لرأى الأغلبية غالبا ما يقابل منها بالاحتكار والهجـوم لأنهـــا تعتبره خروجا عليها. لهذا يتميز موقف المثقفين الأصلاء بالصعوبة والحـــرج فـــى بعض الأحيان، ومع ذلك يستمرون فى اتجاهم بسبب إيمانهم بدورهم الريـــادى فـــى تفتيح أذهان الناس وأبصارهم التى لا تـــرى أبعـــد مـــن مـــواطئ أقـــدامهم. وفـــى المجتمعات التى تصل فيها روح القطيع إلى أخطر درجاتها، تتحول شخصية المثقف المفكر إلى مثار للسخرية والتهكم لأن وجوده وسط القطيع يتحول إلى نغمة نشاز أو عنصر قلق يسلب أفراد القطيع راحتهم فى النعاس والنوم واجترار أحـــلام اليقظـــة التى لن تتحقق، ولذلك يسارع أفراد القطيع إلى الدفاع عن أنفسهم بالسخرية منـــه حتى لا يفكر أحد فى أن يحذو حذوه.

هنا تبرز ضرورة الصلابة والصمود والإصرار والإرادة الذاتية التى تعد الأســـاس الحقيقى للنجاح الداخلى.. فإذا أصر الإنسان الأصيل علـــى مواجهـــة روح القطيـــع بالموضوعية الفكرية الواضحة المحددة، فإنه يمكن أن يخلق تيارا فكريا جديدا يضم إليه كثيرين من المقتنعين به . وبذلك يجدد الحركة الفكرية داخل المجتمع ويكثر من قنواتها بدلا من سيرها فى قناة واحدة.

84 1وصيتى

عندئذ سيشعر الإنسان أن اقتناعه بذاته ونجاحه الداخلى قد انتقل إلـى الآخـرين ، وبذلك فانهم يستفيدون من تجربة إنسانية خصبة أصـيلة بلـون أن يمـروا فيهـا بمراحل المحاولة والخطأ .

ان النجاح الداخلى للإنسان مرتبط أساسا بضميره، فإذا تبعه النجـاح الخـارجى كان بها. وإذا لم يتبعه كان بها أيضاً. فيكفى اسـتمتاع الإنسـان براحـة ضـميره وتوافقه مع نفسه. أما النجاح الخارجى الذى يراه الآخرون ويعجبون به فكثيرا مـا يتنإلى مع القيم الأخلاقية والمثل العليا لأن الناس لا يرون سـوى الظـاهر. ومـن الممكن أن يرتكب الإنسان أبضع الرذائل فى سبيل أن يحقق الجـاه والثـراء، لكـن الآخرين لن يروا سوى الجاه والثراء.. فالأخلاق الإنسانية الرفيعة تتنإلى تماماً مـع مبدأ ماكيا فيللى الذى ينادى بأن الغاية تبرر الوسيلة فهناك فرق شاسع بين النجاح الداخلى والنجاح التجارى.. ولقد استوعبت هذا الدرس مـن عملـى فـى السـوق والأعمال الحرة.

www.anwarsadat.org

4

كان من سوء طالعى أن اشتغلت فى فترة من فترات حياتى فى السوق، وكنت وقتذاك أجرى وراء لقمة العيش لى ولأسرتى.. وحين أعود بذاكرتى اليوم إلى تلك الأيام وإلى من تعاملت معهم أذهل واعجب لهذا الموكب العجيب الذى عشت فيه سنوات تعلمت فيه أن أكره السوق ومعاملات السوق وتقاليد هذا السوق.. أننى لا أنكر أننى صادفت أناسا

أطهارا شرفاء مازالت تربطى بهم صداقات ومودات. ولكننى إلى جانب هؤلاء بلوت كثيرا من ذلك الطراز الذى لا يعرف فى معاملاته إلا المساومة وإلا اللف والدوران. يكون حقك ظاهرا ومثبوتا ومكتوبا ولكنك تصدم حين يجابهك هذا الطراز الممقوت من رجال السوق بالتجاهل والإنكار . والأعجب من ذلك أن هذا الطراز يؤمن فى قرارة نفسه بحقك ويعلم تماماً ما يجبب أن يؤديه ، لكن عوامل الشره والأنانية تصور له أنه يستطيع أن يكسب منك بطول المحاورة وبكثرة المداورة مايرضى جشعه ويروى أنانيته.

كنت أفكر وأنا أتعامل مع هذا الطراز، لا لاقنعه بوجاهة حقى وسلامة موقفى وشرف مقصدى، وإنما كنت أفكر كيف أستطيع أن أنبه مثل هذا المخلوق إلى أن مسلكه فى الحياة يجرده من الإنسانية ويجرده من الشرف، فقد يستطيع أن يكسب بالمحاورة والمداورة. دريهمات ولكنه سيخسر فى النهاية شرفه وضميره، وستكون أنانيته وجشعه خير وسيلة لكى ينبذه الناس فلن يقبل أحد أن يتعامل معه أو يصادقه لأنه انحط بغرائزه إلى أسفل سافلين. ولم أجد إلا حلا واحدا للتعامل مع مثل هؤلاء الخادعين هو الصلابة والصمود فى قوة وراء الحق مهما كان الثمن .

وتركت السوق إلى السياسة وفى السياسة صادفت هذين النوعين لا فى الأشخاص ولكن فى الدول التى تبرر الغايات بالوسائل. ان الغايات فى تقديرى لا يمكن أن تنفصل عن الوسائل وهذه حقيقة لا يدركها إلا الإنسان الذى بلغ مرحلة اليقين لأنه ليس على استعداد أن يحقق نجاحا يرضى عنه الآخرون بينما لا يرضى هو عن نوعية الوسيلة التى أدت به إلى مثل هذا النجاح. ويكفى أنه سيفقد السلام الروحى والتوافق الذاتى داخله ولذلك ستكون خسارته أعظم من أى مكسب مادى حصل عليه.

ولى تجربة شخصية مع عبد الناصر على مدى 18 سنة من العمل السياسى .

كانت شخصية عبد الناصر أسطورة ضخمة لها من الآثار والأبعاد مالأ يمكن حصره فى هذا المقام.. واست!ع أن يقدم للأمة العربية الزعامة التى طال انتظارها لها. وعشت بجانب عبد الناصر طوال هذه الفترة دون أن أشعر بأى قلق أو ضيق. وهذه من الأشياء التى طالما سألنى عنها كثيرون من الناس . خاصة عن السر فى أنه لم يحدث أى خلاف بينى وبينه وذلك على النقيض من الزملاء الآخرين الذين اختلفوا معه وتركوا له الحلبة تماماً والحقيقة أنه ليس هناك ثمة سر على الإطلاق ، فقد دفعنى إيمانى بالنجاح الداخلى إلى رفض التكالب وراء أى منصب أو وظيفة أو جاه.

أقنعنى إيمانى بذاتى واستقلالى بفكرى أننى أكبر من أى منصب أو وظيفة أو جاه وعلى ذلك ليس هناك مجال لكى أخوض أى صراع من أى نوع كان. فليست لى مطالب شخصية ويكفينى أن حلمى الأزلى بقيام الثورة قد تحقق وأصبحت قيادتها فى يد زميل الشباب وصديق العمر.. ومادام الاحترام المتبادل هو الأساس الذى نهضت عليه صداقتنا فلا مجال لأية معارك شخصية بيننا. ولكن هذا لا ينفى وجود اختلافات بيننا فى الوسائل والأساليب.

من المعروف أن كل إنسان على وجه هذه الأرض يختلف عن الآخر اختلاف بصمات الأصابع. سواء فى البيئة أو العائلة أو النشأة أو التربية أو التعليم أو الثقافة . وهذا الاختلاف

الطبيعى لا يتعارض مع الزمالة أو الصداقة. ومن السذاجة وقصر النظر أن نطلـــب من إنسان أن يتحول إلى نسخة باهته من إنسان أخر مهما كان حبنا واحترامنا لهذا الإنسان ولذلك دهشت من المغرضين أو المرتزقة الذين طالبونى أن أسيـــر بـــنفس الأساليب التـــى أتبعهـــا عبد الناصر لأن المسألة هى مسألة غاية وليست مســـألة وسيلة .

كم كانت لى جلسات طويلة مع عبد الناصر سواء فى بيته أو فى بيتـــى واســـتمرت هذه الجلسات حتى قبيل وفاته .

وكان عبد الناصر مدركاً ومتقبلا لاختلإلى معه فى الأســـاليب والوســـائل. وقـــد اقتضت الحكمة إلا أذيع شيئاً عن هذه الخلافات لأننى لست مـــن هـــواة المنـــاورات والصراعات واستعراض العضلات. ولأننى كنت مؤمنا بأن عبد الناصر فادر دائمـــاً على التصرف، ومادام هذا هو إيمانى واقتناعى فلا ضرورة لمشكلات أنا فى غنـــى عنها أيضاً فإن مشكلة الحكم تقتضى وجود رجل مسئول مسئولية أخيرة وتاريخيـــة عن اتخاذ القرارات المصيرية والحكم بعد ذلك للشعب له أو عليه وذلك عن طريـــق تقييم قراراته.

لعل أكبر اختلاف فى جوهرى بينى وبين عبد الناصر أنه كان يسعى دائمـــاً وراء بريق النجاح الخارجى الذى تمثل فى الدعايـــة الضـــخمة والأعـــــلام الملتهـــب باستمـــرار. لـــذلك صـــور له البعض من مــــراكـــز القـــــوى أن افتعـــال المعـــارك المستمـــــرة يجعـــل

الضجة عالية وصاخبة على كل ما عداها من نغمات وأصوات. أمـا أنـا فأيمـانى بالنجاح الداخلى قد منعنى من خوض أية معركة إلا إذا كانت مصيرية وحاسمة مـن أجل مستقبل مصر وبصرف النظر عن أى دلالات إعلامية أو دعائية . خـط مصـر السياسى والفكرى قوى وثابت طريق المستقبل واضحا ومحددا فلا ضرورة إطلاقـا لقرع الطبول التى تصم آذاننا قبل أى آذان أخرى .

ولعل هذا الضجيج السياسي كان يتمشى مع طبيعة عبد الناصر الذى كـان يعـيش دائماً على أعصابه.. فقد كانت حيائه عبارة عن وتر مشدود طوال الأربع والعشرين ساعة . وفى الواقع لم يكن عبد الناصر يفتعل هذا الجو المتوتر الصاخب على سبيل إحاطة الحكم بالهيبة اللازمة، بل كانت هذه طبيعته سواء قبل الثورة أو بعدها.. منذ أن خطط للثورة، وبعد أن أصبح عضو مجلس قيادة الثورة، ثم رئيسا له حتى تولى رئاسة الجمهورية. كانت طبيعته المتوترة سمة أساسية فى تكوينه منذ العشرين من عمره ولم يستطيع التخلص منها بل يبدو أن أعباء الحكم ومسئولياته قد ضـاعفت من حدتها .

وجعلت هذه الطبيعة المشدودة الاقتراب منه شيئاً ليس بالسهولة التى تخطر علـى بالنا فقد صنع هذا الجو المتكهرب حاجزا صلبا بينه وبين الآخـرين ، لـذلك لـم يكـن لعبـد الناصـر صداقـات بالمفهـوم البسيـط لمعنـى الصـداقـة . أمـا صداقتـى لـه

فكانت تعتمد على قيمة إنسانية كبيرة من القيم التى شكلت حياتى منـــذ الطفولـــة . هذه القيمة هى الوفاء الذى تعلمته فى القرية والذى كان النبع الرئيسى الذى أمفـــى بالسلام الروحى والنجاح الداخلى. وهما العنصران اللذان بدونهما لا يمكـــن يكـــون الإنسان منطقيا، سواء مع نفسه أو مع الآخرين. لذلك تجنبت كل مظاهر الصراع أو الحقد أو الغيرة التى حاول الآخرون الادعاء بوجودها بينى وبينه وهذا يفســـر ردى السؤال الذى ووجهت به أثناء أول زيارة لى لفرنسا بعد أن توليت المسئولية. كـــان السؤال هل أحس بالغيرة كلما ذكر أسم جمال عبد الناصر أمامى مثلما كانت الغيرة تنهش بومبيدو كلما ذكر اسم ديجول فى حضرته " ؟

أجبت على السؤال بقولى: لم أشعر بهذه الغيرة إطلاقا ،لأن جمـــال كـــان زميلـــى وصديقى وأخى، وكانت ثقتى فيه كاملة ومطلقة . ومهمتى الآن لا تتيح لى الانشغال بمثل هذه الأحاسيس العابرة السطحية ، إذ أننى منهمك فى إكمال وتصحيح المسيرة التى بدأها عبد الناصر عن اقتناع وعن إيمان .

www.anwarsadat.org

معنى النجاح الداخلى 191

5

لعل إيمانى بالنجاح الداخلى يرجع إلى طبيعتى الريفية الهادئة التـــى علمتنـــى أن أتجنب كل ما من شأنه أن يوتر أعصابى بقدر الإمكـــان ، و لكـــن مـــع الإصـــرار الموضوعى لتحقيق الهدف المنشود. فأنا أحدد دائما ما أريده وما لا أريده. لذلك فأنا مرتاح نفسيا وعصبيا لأننى لا أعلق حياتى بأمل قد لا يتحقق ولا أخاف من طريـــق قد يصبح مسدودا، لأننى أضع فى اعتبارى دائماً طرقا عدة تؤدى إلى نفس الهدف. ولا يهمنى الدعاية التى اكتسبها أو لا اكتسبها وأنا فى طريقى إلى تحقيـــق هـــدفى طالما أننى مقتنع داخليا بالوسيلة التى أستخدمها لبلوغ الهدف، لأنه غالبا ما يتبـــع النجاح الخارجى النجاح الداخلى بعد أن يقتنع به الجميع عندما يتحول إلـــى حـــدث مادى لا يستطيع إنكاره أحد .

ولقد علمنى النجاح الداخلى أن الدعاية ليست سوى صورة إعلامية لما يجـــــرى بالفعـــــل . ومهمـــــا تضخمـــت الدعايـــــــــة السياسيـــة وارتفـــــع ضـــجيجها فلـــن تزيد من حجم أو وزن أو تأثير
192 وصيتى

العمل السياسى الذى يجرى على أرض الواقع. بل ان الخطورة تبرز عندما يكتشـــف الناس أن الدعاية كانت جعجة بلا طحن ، عندئذ يفقد الناس الثقة تماماً فى القيـــادة كما حدث فى أعقاب هزيمة يونيو 1967. وقد استوعبت هذا الـــدرس تمامـــاً فـــى

إعدادى لمعركة أكتوبر 1973 فعلى الرغم من الضغوط الخارجية و التمزقات الداخلية التى حاولت تشويه صورتى والتشكيك فى أى عمل أقوم به. لم أحاول أن أشحن الأمة بدعاية مضادة، بل اعتبرت أن هذه كلها فقاقيع لن تلبث أن تتلاشى بمجرد البدء الفعلى لمعركة العبور والتحرير وقد كان . وتغير العالم كله بعد أكتوبر واكتسبت مصر من الدعاية العالمية ما لم تكن تحلم به فى يوم من الأيام .

كان أروع إنجاز فى معركة أكتوبر أن نجاحها الخارجى كان قائما أساسا على نجاح داخلى قائم على الأيمان واليقين ووضوح الرؤية، والثقة بالنفس. ولذلك مازالت موجات هذه المعركة الخالدة تتدافع على شواطئ بلاد العالم كله دون استثناء إن النجاح الداخلى هو الركيزة الحقيقية لكل الإنجازات الإنسانية سواء على المستوى الذاتى الخاص أو المستوى القومى العام . من هنا كان أملى فى اعتناق أولادنا لهذا المبدأ الذى يؤكد أن النجاح الخارجى الذى يلهث خلفه الجميع ليس سوى الواجهة الظاهرية للقيمة الإنسانية العظمية المتمثلة فى النجاح الداخلى.

www.anwarsadat.org

www.anwarsadat.org